﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣﴾ [النساء: 93]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ساقَ اللهُ تعالى القتل الخَطَأَ مساقَ ما هو للفاعِلِ منفِّرًا عنْهُ هذا التَّنفيرَ؛ ناسبَ كلَّ المناسبةِ أَنْ يذكرَ مساقَ القتلِ العمدِ الَّذي هو أَشدُّ من الخَطَأِ، وَالْأَفْعَالُ كُلُّهَا لَا تَخرُجُ عَنْ حَالَتَيْ عَمْدٍ وَخَطَأٍ؛ لِيكونَ الكلامُ جاريًا مِنْ ذكرِ الغليظِ إلى الأَغلظِ[1].

القتلُ العَمْدُ وجْهٌ شنيعٌ للقَتْلِ الخَطأ، وفعلٌ أغلظُ

إذ عدم سُكوته عن الأوّل - مع ظهور العذر فيه - مُهَيِّئٌ ومُمَهِّدٌ لحديثه عن الثّاني الّذي تغلظ العقوبة عليه، ولا عذر فيه، وَلِيُشْعِرَ أنّ اعتناءه بتهذيب أتباع دينه - إذ غالب ما يصدر عنهم هو من الأوّل (الخطأ) دون الثّاني (العَمْد) - مقدَّم عنده على نَهْنَهَةِ غيرهم، والتَّوجُّه لتأنيبه وتثريبه، وليكون من سدِّ الذّرائع وحسم مادَّة الشَّرِّ؛ إذ انكفاف المؤمنين عن الاعتداء على حياة غيرهم - ولو خطأ - مقتضٍ صَرْفَ عَدُوِّهم عن الاعتداء على حيواتهم، ذلكم الاعتداء الّذي لا يكون غالبًا إلّا عمدًا وعلى أقلِّ التّقديرات، فلا يكون ذلك بذريعة منهم، فسبحان من هذا كلامه! ﷻ وبحمده، وذلكم من محاسن التّشريع، وروعة الإعجاز، ودقّة مسالك البيان، وبُعد مراميه في العلاج والإصلاح، وإيجازه المعجز؛ إغراءً بالفضائل، وإزراءً بالرَّذائل وكبْحًا لجماح الأنفس، وقمعًا لانبعاث التُّرَّهات، وقطعًا لتداعي الأهواء.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أمرُ القتل العَمْد عظيمٌ، يستحقُّ العذاب الشَّديد، والوعيد الأكيد

هذهِ الآيةُ فيها مِنَ التَّهديدِ والإيعادِ أمرٌ عظيمٌ، ففيها يُخبِرُ اللهُ عِنْ حكمِ قتلِ المؤمنِ عمدًا في الآخرةِ فقط؛ لِعظَمِه ولِتهويلِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 5/364.

أمرِه، فأيُّ إنسانٍ مسلمًا كان أو غيرَ مسلمٍ يقتلُ مؤمنًا، متعمِّدًا قتلَه، مريدًا إتلافَ نفسِه، فجزاؤُه الَّذي يستحقُّه على اقترافِ تلكَ الجريمةِ الشَّنيعةِ دخولُ جهنَّمَ ماكثًا فيها مُكثًا طويلًا، وأبعدَهُ مِنْ رحمتِه وأخزاهُ، وقدْ هَيَّأَ اللهُ في جهنَّمَ لِمَنْ تَعَمَّدَ قَتْلَ المؤمنِ عذابًا فظيعًا هائلًا، لا يُدركُ الإنسانُ غايتَهُ؛ لِشِدَّةِ بشاعتِه، ففي هذهِ الآيةِ تهديدٌ شديدٌ، ووعيدٌ أكيدٌ، لِمَنْ يَجْترِئونَ على سَفكِ دماءِ المسلمينَ بغيرِ حقٍّ[1].

❁ شَرْحُ الْمُفْرَداتِ:

1) ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾: العَمدُ هو شَدُّ القلبِ، أو جمعُ العَزْمِ على قَصْدِ إقامةِ شيءٍ أو إيجادِهِ، والعمدُ أَنْ تُكَابِدَ أَمْرًا بِجِدٍّ وَيَقِينٍ، فهو فعلُ الشَّيءِ عن إرادةٍ واختيارٍ معَ قصدِ إيجادِهِ يقينًا بمكابدةٍ في الفعلِ، ويضادُّه الخَطَأُ[2]، والمتعمِّد هنا: هو القاصد للقتلِ.

2) ﴿فَجَزَآؤُهُۥ﴾: أصلُ الكلمةِ: جَزَيَ، قُلِبَتِ الياءُ ألفًا لِتحرُّكِها وانفتاحِ ما قبلَها، فصارَت جَزَى، ويدلُّ معنى الكلمةِ: على قِيَامِ الشَّيْءِ مقَامَ غَيْرِهِ وَمُكافأتِه إيَّاهُ، يُقَالُ: جَزَيْتُ فُلَانًا أَجْزِيهِ جَزَاءً، وَجَازَيْتُهُ مُجَازَاةً، والجَزَاءُ: ما فيه الكفايةُ من المقابلةِ، إنْ خيرًا؛ فخيرٌ، وإنْ شَرًّا، فشرٌّ، واستُعْمِلَ الجزاءُ في القرآنِ في مقابلِ الخيرِ والشَّرِّ[3]، كما في قولِه تعالى: ﴿فَلَهُۥ جَزَآءَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الكهف: 88]، وقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: 40].

3) ﴿وَغَضِبَ﴾: الغَضَبُ ثورانُ دمِ القلبِ إرادةَ الانتقامِ، ثمَّ صارَ الغضبُ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ، والغضبُ ضدُّ الرِّضا، وصيغةُ المبالغةِ (غَضْبَانُ) وصفٌ للذَّكَرِ، ويقالُ للأنثى: غَضْبَى، والغَضَبُ مِنْهُ مَحْمُودٌ وَمَذْمُومٌ: فَالْمَذْمُومُ: مَا كَانَ فِي غَيْرِ الْحَقِّ، وَالْمَحْمُودُ: مَا كَانَ فِي جَانِبِ الدِّينِ وَالْحَقِّ، والغَضَبُ من اللَّهِ صفة فعل، آثاره: سُخْطُه عَلَى مَن عَصاه، وإعْراضُه عَنْهُ، وَمُعَاقَبَتُهُ لَهُ[4].

4) ﴿وَلَعَنَهُۥ﴾: يدلُّ معنى اللَّعنِ هنا: على نَفْيٍ أو طَرْدٍ وإبعادٍ من الحيِّزِ بتخويفٍ وذعرٍ لِعدمِ قبولِ القُربِ، ولَعَنَهُ اللهُ بمعنى: طردَهُ، وأبعدَهُ على سبيلِ السُّخطِ، وذلك

(1) مجمع البحوث الإسلامية: (الأزهر)، التفسير البسيط: 2/882.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (عمد).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: 1/455.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والراغب، المفردات: غَضِب.

مِنَ اللّهِ تعالى في الآخرةِ عقوبةٌ، وفي الدُّنيا انقطاعٌ مِنْ قبولِ رحمتِهِ وتوفيقِه[1].

5) ﴿وَأَعَدَّ﴾: أصلُ الكلمةِ (عدد)، ويأتي بمعنى: عدِّ الشَّيءِ، وهو الإحصاءُ، وبمعنى: تهيئةِ الشَّيءِ، ومنه أعدَّ بمعنى: أحضرَ، وأعدّهُ لِكذا بمعنى: هيَّأهُ، وأحضرَهُ، وجعلَهُ مُتَاحًا[2]، وقوله تعالى في الآية: ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ﴾ بمعنى: هيَّأ له عذابًا عظيمًا، وحضّره له.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة العموم في ﴿وَمَن﴾:

جاء لفظُ ﴿وَمَن﴾ في سياقِ الشَّرطِ، فأفادَ العمومَ[3]، بمعنى: كلِّ مَنْ يصدُرُ منه القتلُ المذكورُ.

في العموم شمولٌ لكلِّ من يصدُرُ منه القتل

نكتة إيثارِ صيغةِ المضارعِ ﴿يَقْتُلْ﴾:

جاء الفعلُ بصيغةِ المضارعِ؛ لاستحضارِ صورةِ قتلِ المؤمنِ عمدًا بغيرِ حقٍّ؛ تبشيعًا للحالةِ وتقبيحًا لَها، وفي مجيئِهِ بصيغةِ المضارعِ نكتةٌ أخرى: وهي أنَّه إذا كانَ قتلُ المؤمنِ خطأً مِمَّا لا يحقُّ أنْ يكونَ له وجودٌ أصلًا؛ فقتلُ المؤمنِ عمدًا أولى وأحرى، فجاءَ بصيغةِ المُضارعِ غيرَ متحقّقِ الوقوعِ؛ لِيظهرَ أنَّه مِمَّا لا ينبغي أنْ يقعَ أصْلًا؛ ولأنَّ صيغةَ المُضارعِ للاستقبالِ حالًا ومآلًا، فهي أدلُّ على تبييتِ النِّيَّةِ، وإضمارِ القَصْدِ إلى القتلِ الَّذي قد لا يدلُّ عليه، ولا يفي به الفعلُ الماضي.

الأوْلَى في قتلِ المؤمنِ عمدًا ألَّا يكونَ له وجودٌ؛ لبشاعته

دلالة تعليق الحكم بالوصف ﴿مُؤْمِنًا﴾:

أناطَ الوعيدَ بقتلِ مَنْ له وصفُ الإيمانِ مطلقًا عنْ أيِّ قيدٍ؛ لِيجريَ الكلامُ في الفردِ المطلقِ، فأيُّ إنسانٍ يحملُ وصفَ الإيمانِ

الوعيدُ لكلِّ من قتلَ المُتَّصِفَ بالإيمانِ مطلقًا

(1) الراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (لعن).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (عدد)
(3) الرازي، مفاتيح الغيب: 10/183، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/166.

يتناولُهُ الوصفُ صغيرًا أو كبيرًا غنيًّا أو فقيرًا ذا إيمانٍ قويٍّ أو ضعيفٍ، بأنْ يكونَ مرتكبًا لِلمعاصي.

ومن معانيه كذلك: أن يكون قتْلُه - وهو المؤمن - لعلّة إيمانه، لم يقتله قاتله إلّا لهذا، فهذا الموجب للوعيد الشَّديد الّذي مبتداه: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ صُعُدًا إلى ما هو أشدُّ إياسًا من رحمة الله، وأبعد قطعًا له عنها: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

دلالةُ صيغةِ الحالِ ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾:

القاتلُ المتعمِّد يتكرِّرُ منه قصدُ الفعلِ؛ استخفافًا وجرأةً

جاءَ قوله: ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾ حالًا مِنْ فاعِل ﴿يَقْتُلْ﴾، والمعنى على اقترانِ القتلِ بالتَّعمُّدِ، فيكونُ وقتُ القتلِ هو وقت التَّعمُّدِ، ولمَّا كانتْ صيغةُ (تفعُّل) - الَّتي اشْتُقَّ منها اسمُ الفاعلِ، تُفيدُ تكرُّرَ الفعلِ وتكثيرَهُ[1]، ولا يتحقَّق أصلها إلَّا بإقدام متهوِّر، فيه استخفافٌ وجرأةٌ على ما هو قادم عليه؛ قامتْ صيغةُ ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾ الدَّالَّةُ على تكرُّرِ مكابَدَةِ قصدِ الفعلِ بجدٍّ، وتكثيرِهِ مقامَ تكرُّرِ القصدِ مِنَ القاتلِ مرَّةً بعدَ مرَّة؛ ولو في لحظاتٍ قصيرةٍ، فكانَ أدعى لِحصولِ الوعيدِ العظيمِ عليهِ.

دلالة اقتران جزاء الشّرط بالفاء:

جـزاءُ القاتلِ واقعٌ في وقتِ وقوعِ القتلِ العَمْدِ

الفاء في قولِه تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾؛ للاستحقاق لا للتَّعقيب، فهي أقرب ما تكون للتَّفريعيَّة، وأفادَت اقترانَ ثبوت الجزاء بوقتِ وقوعِ الشَّرطِ، والمعنى: أنَّ ثبوتَ جزاءِ جهنّمَ لقاتلِ المؤمنِ، وما اقترنَ به من أنَّ اللّه غضبَ عليه، ولَعنَهُ، وأعدَّ له عذابًا عظيمًا، كلُّها واقعةٌ في وقتِ وقوعِ قتلِ المؤمنِ؛ تحذيرًا لِلقاتلِ مِن الوقوعِ في قتلِ المؤمنِ، وتهويلًا للأمرِ عليه.

(1) الرضي، شرح الرضي على الكافية: 1/105.

إيثار لفظ جزاء على غيره:

جاء باللَّفظ المشعر باستحقاقه، وهو (الجزاء) دون غيره كـ(العقاب مثلًا)؛ لئلَّا يُتوَهَّمَ أنَّ الجزاءَ غير عادل، لعظمه وكثرته، وشدَّة هوله.

في لفظ الجزاء دفعٌ لتوَهُّمِ عدم عدالته، لعظمه، وشدَّة هوله

علَّةُ مجيءِ الجزاءِ بصيغةِ الجملةِ الاسميَّةِ:

وردَ الجزاءُ بصيغةِ الجملةِ الاسميَّةِ في قولِه: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾؛ ليُفيدَ ثبوتَ هذا الجزاءِ لقاتلِ المؤمنِ معَ تأكيدِه وتقريرِه لِمَا تحملُه الجملةُ الاسميَّةُ مِنْ معنى التَّأكيدِ، لا سيَّما ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32].

وعدُ الله تعالى للقاتلِ ثابتٌ متحقِّقٌ وقوعُه

دلالةُ جزاءِ الشَّرط:

لَمَّا كان الجزاء هو بمعنى: الكفاية في المقابلة؛ دلَّ على أنَّ ما ذُكِر من أنواع جزاء الشَّرط ليست أمرًا زائدًا على جزاء قتل المؤمن، بل هو أقلُّ الكفاية في مقابل فعله.

قتلُ المؤمنِ عمدًا أعظمُ مِنْ جميعِ العقوباتِ

دلالةُ مجيءِ الأفعالِ بصيغةِ الماضي:

مجيءُ الأفعالِ (غَضِبَ، لَعَنَ، أَعَدَّ) بصيغةِ الماضي؛ لتدلَّ على وقوعِ الفعلِ وحصولِه، وتحقُّقِه في حالِ تحقُّقِ الشَّرطِ الَّذي هو قتلُ المؤمنِ عمدًا؛ إذ هو إعلانٌ "صريحٌ في أنَّه تعالى سَيفعلُ به ذلك - لا سيَّما - وقدْ أَخبرَ عنهُ بلفظِ الماضي؛ لِيُعلَمَ أنَّهُ كالواقعِ"[1].

بلاغة التَّقديم في الأفعال:

قدّمَ فَعْلَ الغضبِ على (لعنَ) و(أعدَّ)؛ لإفادةِ تنوُّعِ الوعيد والعقاب على قاتلِ العمدِ في ترتيبٍ تصاعديٍّ يبدأُ بالسُّخْطِ المطلقِ، ثُمَّ الإبعاد من الرَّحمة، ثمَّ تهيئة العذاب العظيم له يوم القيامة.

العقوبةُ المتنوِّعةُ تصاعديَّةٌ للقاتلِ المتعمِّد

(1) النيسابوري، غرائب القرآن: 2/475.

سرُّ مجيءِ الفعلَينِ غيرَ مقيَّدينِ:

عمومُ الغضبِ في الدُّنيا بالإعراض والَّلعن، وفي الآخرة بالعقوبة

جاءَ الفعلانِ ﴿وَغَضِبَ﴾ ﴿وَلَعَنَهُ﴾ مِنْ غيرِ تقييدٍ بكونِهما في الدُّنيا أو في الآخرةِ؛ لِيفيدَا عمومَ الغضبِ في الدُّنيا بالإعراضِ عنه، وفي الآخرة بالعقوبةِ، وعموم اللَّعنةِ في الدُّنيا، وذلك بانقطاعٍ مِنْ قبولِ رحمةِ اللهِ وتوفيقِه، وفي الآخرةِ بعقوبةِ الإبعادِ مِنْ رحمتِه الَّتي هي مِنْ أشدِّ أنواعِ العذابِ.

دلالةُ الفعلِ ﴿وَأَعَدَّ﴾:

العذابُ العظيمُ بانتظار القاتل المتعمِّد

دلَّ الفعل ﴿وَأَعَدَّ﴾ على أنَّ العذابَ حاضرٌ، وقدْ هيَّأه اللهُ تعالى، فهو متاحٌ لقاتلِ المؤمنِ عمدًا، وَهُوَ لهُ بالمرصاد.

إيثارُ التَّعبيرِ بالمُفرد:

الوعيد للمفرد أشدُّ من الوعيدِ للمجموعِ، وأكثرُ رهبةً

آثرَ التَّعبيرَ بصيغةِ المفردِ الغائبِ؛ لِيكونَ أشدَّ عذابًا للقاتلِ، ولِمَا يحملُه مِنْ معنى الإفرادِ في التَّعذيبِ الَّذي هو أشَدُّ ممَّا أنْ يكونَ مع المجموعِ، كما أنَّ تهديدَ المفردِ أكثرُ رهبةً مِنْ تهديدِ المجموعِ.

دلالةُ النَّعتِ في قوله: ﴿عَذَابًا عَظِيمًا﴾:

طابقت دلالةُ التِّنكيرِ الدَّلالةَ المُعجميَّةَ

وصفَ اللهُ تعالى العذابَ بالعظيمِ؛ لِيناسبَ الفعلَ العظيمَ والخطبَ الجسيمَ الَّذي فعلَه القاتلُ المتعمِّدُ، فناسبَ الجزاءُ العملَ، فكأنَّ الوصفَ جاءَ تعليلًا لِما ارتكبَه من الفعلِ العظيمِ[1]، وجاءَ النَّعتُ نكرةً؛ لِيفيدَ تعظيمَ العذابِ، فأفادت دلالةُ التَّنكيرِ الدَّلالةَ المعجميّةَ مبالغةً في تهويلِ العذاب.

(1) النسفي، مدارك التنزيل: 1/385.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»